

الحياة الحقيقية

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

دار طويق للنشر والتوزيع

الموقع الرسمي للشيخ أحمد الطويان
www.attwayan.com

المقدمة

مهـما كان النعيم الذي يعيش فيه الإنسان في هذه الدنيا فإنه زائل غير دائم، فكيف إذا كان الإنسان يكابد فيها صنوفاً من المشاق، وضروباً من ألوان الكبد والعناء؟! ويسأل المرء نفسه .. كيف أحقق السعادة في هذه الحياة؟ والجواب المباشر على هذا هو أن يدرك غاية حياته وهدف وجوده وسعيه. ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِيهِ ۗ﴾ . هذا الإدراك والعمل بموجبه مع وضع الآخرة نصب عينيك. هو السبيل لتحيا حياة السعادة الحقة.

المؤلف

لهث خلف السراب

عندما ترتبط النفوس بالمادة وتوغل بالتعلق بالمحسوسات وتنقطع صلتها بنصوص الوحي، تبقى النفوس والقلوب تلهث خلف السراب فتزداد عطشاً وضياًعاً، تسعى خلف تجارب الآخرين وخيالات المخيلين وبضائع الدجالين، فلا تجد راحة ولا طمأنينة ولا سعادة بل تعيش في الجحيم وضلال الطريق، ﴿ وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١).

يعيش هؤلاء الصنف من الناس بعيداً عن هداية شريعة الله فتشقى نفوسهم وتظلم قلوبهم، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (٢). لا يدركون من الحياة إلا ما رأته قلوبهم وأدركته

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.



عقولهم وسمعتهم آذانهم.
 لم تتطلع نفوسهم إلى ما وعد الله به المتقين ولم
 تهتد قلوبهم إلى ما يشرح الصدور وينير القلوب.
 لم يستشفوا بالقرآن ولم يدركوا وعده ووعيده
 عاشوا للمادة وجمعها فعاشوا من أجلها وفي
 سبيلها. عبدة الدرهم والدينار.

«تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد
 الخميصة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا
 شيك فلا انتقش»، تعس عبد جريء على محارم
 الله لم يردعه وعيد القرآن والسنة ولم يراقب الله
 في أعماله وأقواله وكأنه خلق لهذه الحياة فقط،
 نسي وتناسى الآخرة.

فيا من ترك الصلوات والجمع والجماعات
 وتستحل المحرمات وترتكب الموبقات ألا تخاف
 رب الأرض والسموات؟ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ
 مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ

أَلْعَلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا
 أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ (١)

إنك تعجب كل العجب من مسلم لا يبالي
 بكسب الحرام وفعل الحرام، ﴿ كَلَّا بَلْ لَّوْنَ عَلَيَّ
 قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) . فاسودت
 القلوب فلا ترى إلا المنكر والسوء.

الربا، الغش، أكل أموال الناس بالباطل، الزنا
 والفواحش، العقوق، القطيعة، الزور والبهتان،
 الكذب والنميمة والغيبة.

هؤلاء لم يعيشوا حقيقة الإسلام وفضائله
 وكمالاته إنما عاشوا في ذلك المستنقع المتعفن: فلم
 يبصروا إلا بعين الجريمة والرذيلة.

ومن الإغراق في الماديات التماذي مع العقل

(١) سورة المطففين، الآيات: ٧ - ١٠.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

الذي لم يهتد بنور الشرع حتى بحث هؤلاء عن الحياة عن طريق الكفار والمشركين وظنوا أن الحياة هي حياة هؤلاء القوم المتحضرين فسلكوا طريقهم في حياتهم ومعيشتهم وداووا جراحهم وعالجوا مشاكلهم بما وصل إليه القوم من خيالات وتخيلات وتخبطات وتجارب وظنوا أن ذلك هو الطريق الصحيح للمعيشة الصحيحة.



تربية الإسلام

و حين ننظر إلى حقيقة الإسلام وكيف ربى النفوس للعيش في هذه الحياة نجد أنه قد ربط النفوس بالدار الآخرة وجعل الدنيا مزرعة الآخرة والدنيا دار ممر والآخرة دار المقر ربط النفوس لتعمل في هذه الحياة للتزود للآخرة والعمل لدار البقاء، والتماس رضى الله سبحانه وتعالى شرع للنفوس التطلع للآخرة والمنافسة من أجلها وأمرها بالمسارعة والمسابقة إلى نعيمها، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

و شرع ما يحفظ الإنسان في هذه الحياة ويسعده بها سواء في الأفراح أو الأتراح والمصائب، او مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴿ (١) . هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، «عجبا لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته
سراء شكر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا
للمؤمن». «.

فالمؤمنون وحدهم الصابرون الشاكرون،
يؤمنون بوعد الله فتتعم نفوسهم، ﴿ وَيَشْرُ
الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٥٧﴾ . تلك النفوس
المتعلقة بوعد الله والمؤمنة بما أعد الله للمؤمنين، لا
ترضى أن تخلد إلى الأرض أو تتعلق بأدران
وأوساخ الدنيا.

فإن حباها الله المال كان طريقاً لها إلى الجنة
بالبذل والعطاء والإطعام والإنفاق والصدقة، ا
انَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
﴿١﴾ اِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿٢﴾
فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿٣﴾

وَجَزَّئِلُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١﴾ .
 تتوق نفوسهم للدار الآخرة فلا يرون الدنيا
 شيئاً يعيشون فيها كالغرباء والمسافرين، «كن في
 الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» .
 إذا دعتهم نفوسهم الأمانة بالسوء أو الشيطان
 وجلت قلوبهم وارتعدت نفوسهم واقشعرت
 أبدانهم من الحرام.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوًى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ﴾ (٢) . ﴿رَبِّي أَخْفَانٍ عَصَيْتُ رَبِّي عُلُوبَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣) . ﴿بِئْسَ الَّذِينَ تَتَّقُونَ مَسْهُمٌ
 طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِنَّهُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٤)
 ﴿الَّذِينَ فَعَلُوا فِحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
 فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ لَا يَلِدْ لَهُ ذَنْبٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّ عَلَى مَا

(١) سورة الإنسان، الآيات: ٩ - ١٢ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥ .

فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ (١)

تلك هي النفوس السعيدة المطمئنة بذكر الله،
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١٠٠) . يبحثون عن علاج
القلوب والأرواح قبل علاج الأبدان والأجسام.
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
صُدُورِكُمْ﴾ (٣) ، ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤)

يوقنون بشفاء القرآن لما في القلوب والأبدان،
فلا ييغون عنه بديلاً ولا يريدون عنه تحويلاً
فتسعد النفوس بكلام الله وتطمئن القلوب بذكر
الله فما أحلى الحياة بهذا النور وذلك الشفاء.
لم تتعلق القلوب لا بساحر ولا كاهن ولا
مشعوذ وإنما تعلقت بالله وبكلام الله فوجدت برد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

اليقين وحلاوة الإيمان وشرح الصدور. فتلك الحياة لله رب العالمين.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (١).

حياة لله في التعامل مع الآخرين في العبادة وفي النوم والاستيقاظ، لا غش ولا خداع ولا زور ولا بهتان وإنما نصيحة للمؤمنين وحب للمسلمين كما يجب لنفسه اجتناب للحرام وأخذ بالحلال واستعانة به على طاعة الله. يعتصمون بالله فهو سبحانه يحفظ من التجأ إليه واعتصم به ولاذ، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

فلا تتعلق القلوب بغير الله لا بخيالات وتخيلات ولا بسحرة ولا بمشعوذين، إنما طريق ذلك التوكل على الله وأخذ بالأسباب والأوراد الشرعية من قراءة المعوذات وآية الكرسي

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

وخواتيم البقرة والتعويذات النبوية، وعند النوم والاستيقاظ وإدبار النهار وإقبال الليل. أليست تلك هي الحياة الهانئة المطمئنة التي لا يكدرها شيء إيمان بالقضاء والقدر وتسليم لله ورضا بقضاء الله. لقمة حلال وكسب حلال وعبادة ودعاء واستغفار قيام بالواجبات وتسابق في الخيرات وترك للمنكرات حينئذ تحمل الحياة لتهناً في حلاوة الإيمان قبل نعيم الجنان. تلك الحياة الطيبة ولو لم تحس من نعيم الدنيا الزائل شيئاً لو أكلت الخبز اليابس ولبست الخشن من الثياب وافترشت الأرض والتحفت السماء؛ فما أحوجنا اليوم ونحن في عصر المادة أن ندرك حقيقة الحياة في الإسلام وأن نستظل بظل تلك الحقيقة من وهج المادة وكبد الحياة في وقت كثرت فيه الأمراض النفسية والعصبية وخيمت على كثير من الناس مشاكل الحياة المادية حينها يكون تمني البقاء في الحياة لا من أجل الدنيا وإنما

من أجل الآخرة.
لما حضرت معاذ بن جبل الوفاة بكى وقال ما
يبكيني تمني البقاء في الدنيا لغرس الأشجار أو كر
الأنهار وإنما لصيام الهواجر والاستغفار في الأسفار
ومزاحمة العلماء بالركب في طلب العلم.
رحم الله تلك النفوس وجمعنا الله بها في دار
الكرامة والنعيم .. اللهم آمين.

